(15) فتوح، ص 64.
(16) المالكي، رياض النفوس، ص 36، ابن الأثير، الكامل، 32/4. ابن عذارى، البيان، 38/1.
(17) ابن خلدون، العبر، 11/2 (ط. دوسلان).
(18) المالكي، رياض النفوس، ص 36. ابن الأثير، الكامل، 32/4. ابن عذارى، البيان، 38/1.
(19) تختلف المصادر في تحديد تاريخ هذا التغيير في الفترة التي تتراوح ما بين 77 هـ و 96 هـ / 696ـ715 م.
(20) ابن عذارى، البيان، 49/1. ابن خلدون، العبر، 220/6 (ط. بيروت). الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، ص 69.

الفن في مسجد قرطبة

مظفر عزت الشيخ قادر

المدينة :

تويني، المؤرخ الشهير، يضع لنا هذه المدينة الرائعة ضمن قائمة تحتوي عشرين مدينة اعتبرها من أمهات المدن القديمة والحديثة على الكرة الأرضية.

أورتيكا كاسيت، الأديب الفنان الأسباني، يمثلها لنا كشجرة ورد أصلها في السماء وأورادها على الأرض.

وعبر القرون العديدة ظلت هذه المدينة مصدراً للالهام الثقافي والفني، لربما تأتى هذا الدور بحكم موقعها الجغرافي المتميز حيث تقع على ضفاف نهر كواد الكفبر (الوادي الكبير) وتكمل مع شقيقتها الصغرى قادس (اوغادير) الميناء الهام على البحر المتوسط القوة السياسية والاقتصادية ذات السيادة على القسم الجنوبي كله من شبه جزيرة ايبريا.

وأول ذكر في التاريخ لمدينتنا هذه يرد في العصر القرطاجي حيث يرد اسم القرطبيين ضمن عناصر الجيش الذي يقوده هانيبال ضد روما. ويحتلها الرومان عام 206 قبل الميلاد حيث نراها ، بعد حوالي الثلاثين عاما، تشيّد من قبل كلوديس مارسيلوس على طراز العاصمة روما وأشاد لها سورا كبيرا. وتأتي موجة اضطهاد المسيحية لتمتد إلى اسبانيا وتتركز في قلبها قرطبة حيث تعتبر هذه المدينة على رأس المدن الأسبانية التي قدمت أكبر عدد من شهداء المسيحية من بينهم أشهر قادتها مثل سنت أسيكلو وسنتا فكتوريا.

وتعاني قرطبة موجة الرعب البربري من جراء الهجمات التي يشنها الاسكندنافيون والقبائل الجرمانية حتى يستقر المقام بالملك الغوطي الآري بغزوها في نهاية القرن السادس ويعتنق المسيحية شكليا (كما حصل للمغول الذين أغرقت موجاتهم البربرية الشرق بالدماء حتى أسلم الغازي محمود بن تيمورلنك).

ويدخل العرب اسبانيا عام 711 م وبعد نصف قرن من تبعية شبه جزيرة ايبريا إلى الدولة الأموية مسترشدة بتعاليم العاصمة دمشق، يصلها عبد الرحمن الداخل، وهو الرجل الوحيد الذي ينجو من حملة الإبادة التي مارسها العباسيون لقطع نسل العائلة الأموية فيؤسس عبد الرحمن هذا دولة أندلسية مستقلة تدوم أكثر من قرنين ونصف القرن حيث يتوارث أبناء عائلته الحكم جيلا بعد جيل. ثم يأتي عبد الرحمن الثالث فيعلن نفسه خليفة ويجعل من مدينة قرطبة العاصمة الكبرى لكل أوروبا وواحدة من أكبر مدن العالم بالسكان.

مسجد قرطبة:

صحيح أن الفن الغربي الإسلامي قد ترك لنا من المعالم الرائعة ما يمكن الاشارة إليه في كل العصور والأزمان بالفخر والاعتزاز ولكن مسجد قرطبة، في تقديرنا، يعتبر قمة في الروعة والكمال الفني بكل جوانبه المعمارية والزخرفية. حتى ان الاسبان أنفسهم يعتبرون اليوم هذا الانجاز المعماري العربي الإسلامي مفخرة لهم لانه أشيد ضمن حدودهم السياسية وعلى أرض وطنهم الحالي. فضلا عن كونه مشيدا في مدينة كانت في عهد مشيديه عاصمة القارة الأوروبية كلها بكل جدارة واستحقاق. بل أن هذه التحفة المعمارية والفنية العديمة المثال كانت اللوحة التي تبارى فيها معظم أمراء الأندلس ليترك كل منهم أثرا لعهده عليها حتى صار هذا المسجد أعظم وأكبر مسجد في طول العالم الإسلامي وعرضه بل أنه يعد بحق قمة للابداع الفني الإسلامي في الأندلس.

واليوم، ان حاولنا التجوال في أركان هذه التحفة المعمارية النادرة لوجدنا فيها خليطا متجانسا عجيبا من طرز فنية متتابعة بشكل متكامل يدهش المتفحص الناقد وهو يلاحظ هذا التتابع المنسق في الألوان والاشكال عبر تسعة قرون توالت من عمر هذا البناء الرائع. واذ يبدو أن أيا من الأجيال التي توالت في السلطة عند عاصمة

أوروبا أبت أن تمر إلا وأن تترك أثرا لها في جانب من جوانب تحفة قرطبة الفذة هذه.

وككل مساجد الإسلام، نجد أن مسجد قرطبة يضم ساحة أمامية كبيرة عامرة بمنابع الماء التي كانت تخدم في الأصل المرافق التي يتوضأ فيها المصلون فصارت اليوم مصادر لارواء الحديقة العامرة بالحمضيات التي تغطي معظم مساحته. ثم المصلى الكبير الذي تغطيه الأعمدة التي توحي للداخل إليها بغابة عامرة بالأعمدة الرخامية الجميلة الحاملة لتيجان متباينة الطرز والأدوار. أما المحراب الذي تتمثل فيه كل ما يمكن أن يتصوره المعمار والفنان من ابداع فهو نادرة تعد جوهرة في العقد المسمى بمسجد قرطبة.

بُدئ العمل بانشاء مسجد قرطبة في نهاية القرن الثامن الميلادي (785 م) في أثناء حكم عبد الرحمن الأول وكان يتضمن ـ في هذه المرحلة ـ أحد عشر رواقا ممتدا من الشمال نحو الجنوب، يتميز الرواق المتوسط فيها بكونه أوسع من الأروقة الأخرى على الجانبين بقليل.

وفي عام 831 م قام عبد الرحمن الثاني بتوسيع المسجد نحو الجنوب وأشاد محرابا جديدا له، ثم جاء الخليفة الحكم الثاني ليضيف بدوره منذ عام 961 م أروع ما أمكن ابداعه الفنان والمعمار الأندلسيان. ويأتي أخيرا القائد المنصور ليعطي للمسجد المذكور الأبعاد التي نراه عليها اليوم.

وفي عام 1236 يتحول هذا المسجد الرائع الى كاتدرال من قبل (سنت فرناند) ومنذ هذا يضاف له الـ (Chapelle) والعناصر المعمارية والزخرفية التي ألفتها العمائر الكاثوليكية.

أما القسم المركزي (الأوسط) من المسجد فقد تم تدميره في القرن السادس عشر ليشاد في مكانه الـ Choeur والـ Chapelle الأكبر والـ Transept، وهي العناصر الأساسية والمميزة لكل معبد مسيحي.

وإن رجعنا الى مخطط المسجد الأصلي لوجدناه عبارة عن شكل مستطيل طوله من الشمال الى الجنوب يبلغ (180) مترا وعرضه من الشرق نحو المغرب (130) م. فهو يضم اذا مساحة مقدارها 23400 م² يضمها ساحة البرتقال Pateo Naranjos|Delos وسوره الخارجي عبارة عن جدار مرتفع متوج في أعلاه بنهايات مسننة ومحصن على امتداده بأبراج مربعة تضم بينها أبواب المسجد العديدة.

الباب الرئيسية للمسجد تقع على الضلع الشمالي، وقد صار اسمها اليوم «باب الغفران» La puerta Del Pardon . ثم أعيد بناءها عام 1377 م بإضافة عناصر مسيحية فيها صيّرتها خليطا فقد التجانس (الهارموني) الذي كانت عليه أيام عزها فصارت على الطراز (المدخار) Mudéjar ، المهجين. وفي نفس الضلع الشمالي نجد بابا أخرى عمارتها ذات طراز أغريقي ـ روماني مركب، سميت بباب «العصا الغليظة» Cano Gordo وبالقرب منها شباك ذو ستارة مشبكة من حديد حيث تكرم عندها «عذراء المرافق» La virgen de los Faroles متمثلة في لوحة فنية رائعة من رسم الفنان القرطبي الشهير (خوليو روميرو)Julio Romero أما البرج الذي نجده عند هذا الضلع فهو مثير للاعجاب بشموخه وتحديه للزمن وعواتيه فهو عبارة عن المئذنة الأصلية للمسجد والذي بناه عبد الرحمن الثالث، زينه الفنان المسيحي هيرنان رويز Hernan Ruiz بعناصر الباروك Baroque التي غطت الكثير من معالمه الأساسية. كما ونجد في قمة هذا البرج ـ المئذنة ـ تمثالا للقديس روفائيل وهو من عمل النحات القرطبي بيدرو دي باز Pedro de Paz . أما الضلع الغربية من المسجد فأنها تحوي الأبواب التالية:

ـ بوابة الحليب Postigo de la Leche وقد أعطيت هذا الاسم لانها كانت تستقبل الأطفال الذين لا أباء لهم.

ـ بوابة العمداء La puerta de los Deanes وهي مشيدة منذ عهد عبد الرحمن الثاني.

وهاتان البوابتان تؤديان الى ساحة الحمضيات داخل المسجد Patio De los Naranjos اذ تليهما باب ثالثة تؤدي مباشرة الى المصلى وقد أعطيت اسم بوابة القديس اسطيفان La puerta de san Esteban. وهذه الباب تثير اعجاب المدقق فيها فهي آية في التنسيق والجمال الفنيين اذ يعلوها قوس على شكل حدوة الفرس مبني بالحجارة البيضاء المتتالية مع الطابوق الأحمر المرتب على شكل شعاعي يخرج جميعه من مركز القوس ذاته ثم بوابة سان ميكيل San Miquel التي تم تجويرها في القرن السادس عشر وزينت بزخارف بيضية حولها تحمل طابع المباني الدينية المسيحية الاسبانية. والأبواب الثلاث المذكورة وهي القريبة من نهاية سور المسجد لجديرة بالاهتمام والدراسة الفنية حيث انها مزينة بنقوش على الطراز (الغوطي) من القرن السادس عشر وهي بطبيعة

الحال تجوير وتغطية لما كان قبلها من النقوش والزخرفة الإسلامية. وأخيرا يمكننا الاعجاب ببوابة صغيرة وهي التي تؤدي من القصر الملكي الى المسجد وعلى جانبي ممرها رواق ذو أعمدة جميلة.

أما الوجه الجنوبي لسور المسجد فهو مزدان بدعامات ثقيلة تنتهي بأبراج ونلاحظ على هذا الجدار وبين الدعامات أقواسا نصف دائرية فوقها شرفات بنيت زمن الملوك الكاثوليك.

الواجهة الشرقية وهي من بناء المنصور الذي وسّع المسجد والذي حاول أن يقلد في طرازها عند الأبواب نماذج الأبواب والأروقة ذات الأقواس من نوع حدوة الفرس التي وجدها في المسجد الأقدم الذي بناه الحكم الثاني. ويحوي هذا الجدار بابين يؤديان الى ساحة الحمضيات التي ذكرناها سابقا. وجدير بالإشارة ان هذين البابين مزينين بطرز زخرفية من النوع المسمى بالروكوكو المعقد ومن طراز عهد النهضة المتميز.

وإذا ما توغلنا داخل المسجد مجتازين سوره من باب الغفران نجد أنفسنا في الباحة الخضراء التي سميناها بساحة الحمضيات ، اذ أن الصفوف المنسقة من أشجار الحمضيات التي أعطته الاسم المذكور والتي تتخللها بعض أشجار النخيل مضيفة روعة طبيعية متناسقة الى روعة التناسق الهندسي المعماري الذي نلاحظه في الأعمدة والأقواس المحيطة بالساحة. كما ونلاحظ في الساحة نفسها بقايا النافورة الحجرية المنقوشة بطراز الباروك وملحق بها خزان ماء يعود الى القرن العاشر وهو من المنجزات التي تمت في عهد المنصور لدى عملية توسيع المسجد ومجموع هذه التشكيلة المائية كانت بالأصل ميضئة المسجد الأصلية ولكن للأسف يصعب علينا اليوم تحديد المعالم المعمارية لهذه الميضأة بسبب التحويرات العديدة التي جرت عليها عبر قرون عديدة.

وتشير لنا المصادر التي وصفت هذا المسجد الرائع أنه كان يحوي في الأصل 19 قوس من نوع حدوة الحصان والتي كانت تربط المصلى بساحة الميضأة. أما اليوم فهي مغلوقة جميعا بسبب الحاقها بالجزء الخلفي من الكنيسة (الشابيل) التي بنيت فيما بعد.

ويجدر الإشارة الى أن شارعا مبلطا مناظرا للجدار الذي يحوي مأذنة الجامع يوصلنا الى بوابة النخيل (لابويرتا دو لاس بالماس) والمسمى أيضا بقوس البركات،

ذلك لان مراسيم تبريك رايات الجيش المسيحي الذاهب لمحاربة غرناطة كانت تجري أمامه ومن خلال بوابة النخيل يمكننا الدخول إلى المصلى الأصيل للمسجد وفيها يمكننا ملاحظة القسم الأول من هذا المصلى الذي بناه الأمير عبد الرحمن الأول عام 785 الذي يتميز عن الإضافات التي تلته. اذ ان المسجد الأول كان يحوي 11 رواقا باتجاه الشمال جنوب و12 صفا من الأقواس باتجاه الشرق غرب ونلاحظ أن الرواق الوسطي هو أوسع من مجنباته ويقع على نفس محور بوابة النخيل.

ان الأروقة الأحد عشر من المسجد الأولي محمولة على أعمدة تجلس على قواعد نراها مختفية تحت مستوى التبليط الحالي ونرى ان الأعمدة هذه مرتبة بشكل ربما يتبع لون المرمر المصنوعة منها، ونلاحظ أن أجمل الأعمدة تتركز عند الرواق المتوسط.

أما تيجان الأعمدة التي يبدو أنها نقلت من مبان رومانية قديمة فهي عبارة عن خليط متنوع من الطراز الآيونية والكورنثية والمركبة ، أما سقوف المسجد فكانت مسطحة مبنية من الأخشاب الجميلة المنقوشة بزخارف حفرا ومطلية بألوان متباينة زاهية.

أما الروابط التي نألفها في معظم الجوامع الشرقية من نفس العصر وهي تربط الدعامات بالأخشاب أو بالحديد فنرى المعمار القرطبي قد استعاض عنها في مسجده هنا بأطواق معلقة في الهواء وهي مجرد عناصر جمالية ليس لها أي دور (ستاتيكي) أما أشكالها فهي من نوع حدوة الفرس مركبة من حجر المفتاح في قمة القوس ومنسابة على جانبيه ببناء متتال يلي فيه ثلاث صفوف من الآجر وصفان من الحجر مما يعطي روعة وجمالا للابداع المعماري المنجز في هذا المسجد.

وإذا ما اجتزنا الصفوف الاثني عشر من العقود نجد أنفسنا في القسم المضاف من المصلى عام 833 بأمر الخليفة عبد الرحمن الثاني وهذه الإضافة نراها مؤلفة من 11 رواقا متجها نحو الجنوب وبعمق يبلغ ثمانية صفوف من الطاقات ويبدو أن تحقيق هذه العملية قد دفع ببنائي المرحلة الثانية الى هدم جدار القبلة وتحطيم المحراب الذي كان مشيدا ضمن المسجد الأولي. كما ونلاحظ أن البناء هنا قد زين أعمدته بتيجان نحتت وفق الذوق السائد في هذه المرحلة وللأسف ان هذا القسم الرائع هو الذي تعرض معظمه للتخريب الذي حصل للمسجد في القرن السادس عشر من أجل بناء

المعبد المسيحي وسطه والذي تحول على أثره المسجد الى (كاتدرائية مسيحية).

وتبعا لازدياد نفوس مدينة قرطبة الكبير اضطر القرطبيون اجراء توسيع ثان في المسجد وهو ما قرره الخليفة الحكم الثاني عام 961 والذي تقرر بموجبه من الخطوط التي تشكلها الأروقة الأحد عشر الداخلية نحو الجنوب ، أما التقاطع فقد شكل (اثني عشر) صفا من العقود سدت نهائيا عند جدار القبلة بمحرابه الجديد النادر المثيل ويمكننا اعتبار هذه المرحلة التوسعية في المسجد قمة الجمال المعماري والفني. فنرى الأعمدة في هذه الأروقة تتوالى بعد بعضها حسب ألوان مرمرها وهي من غير قواعد. أما تيجانها فهي من النوع المركب فوق جذوع من المرمر الوردي اللون. أما التيجان (الكورنيثة) فتحملها أعمدة من المرمر الأزرق والسقوف مبنية من الأخشاب المنحوتة والمطلية بألوان متعددة ورائعة التناسق. أما القبة الشهيرة لهذا المسجد ذات الأقواس السائدة من الحجر المعرق فتشكل عقودا صغيرة وهي تؤلف بمجموعها الجزء المركزي الرائع من المصلى ويعتبر هذا الانجاز الفني العديم المثيل من الاستنباطات التي انتجتها الحضارة القرطبية في القرن العاشر وأضافتها الى الفن المعماري العالمي. فضلا عن الروعة التي نلاحظها في الأقواس المقرنصة المحيطة بهذا الجزء من المسجد فيمكن اعتبارها أيضا ميزة تخص الفن القرطبي لا يضاهيها فيه أحد لما تحويه من روائع الزخرفة المزدحمة على الحجر وتعانقها بشكل يثير الدهشة والاعجاب.

المحراب ـ يقع في الجزء المركزي من جدار القبلة. أما قبته فهي عبارة عن شكل معماري مثمن ذو أعمدة مزدوجة عند الزوايا لتحمل عندها الأقواس الثماني المتقاطعة والمؤلفة للعقد كلها ملونة بألوان عديدة غاية في الدقة والروعة المتأتية من قطع موازيك المعملة منه. أما واجهة المحراب فهي مكسية بألواح مرمرية ومنحوتة بشكل جميل ونلاحظ أن قوسا من نوع حدوة الفرس يتوج واجهته وهو محمول على زوجين من الأعمدة الرائعة الجمال نقلت من المحراب الأول الذي بناه عبد الرحمن الثاني. أما أركان قواعد هذا القبو فنراها ذات زخرفة غاية في الجمال. وداخل المحراب فنراه يشكل مخططا مثمنا وبحجم أقل من الخارج. وجدير بالإشارة الى أن هذا الجزء من المسجد ما زال يحتفظ بأرضيته الأصلية وبقبته المكونة من صدفة حجرية بقطعة واحدة.

الإضافة الثالثة والأخيرة في المسجد فقد أنجزت عام 987 في حكم الخليفة هشام الثاني وبأمر وزيره الأول المنصور وتعتبر أكبر الأجزاء المكونة له اذ تؤلف نحو ثلث مجموع البناء الكلي. ونلاحظ أن قرب شواطئ نهر الوادي الكبير من جدار القبلة في المسجد قد حدد انتشار اتساعه في هذا الاتجاه وتركزه في الجانب الشرقي. ويحوي هذا الجزء الأخير من الإضافات ثمانية أروقة لا تضاهي في مستوى الكمال الفني للقسم الأصلي والإضافات التي تلته وذلك بسبب بدئ الوهن لدى السلاطنة الحاكمة في تلك الفترة. فبنظرة فاحصة يتبين لنا الفرق في مستوى الاتقان النوعي والفني بين أعمدة هذا القسم والأقسام السابقة فضلا عن أشكال تيجان تلك الأعمدة التي رغم ان الفنان فيها قد حاول تقليد نماذج صنعت في عهد الحكم الثاني الا أنها اقتصادية في أحجامها. أما الجدران في بناء هذه المرحلة فهي أرق من سابقاتها بشكل ملحوظ. كل هذا يظهر من خلال النظر الى واجهة الجدار الشرقي للمسجد.

وتجدر الإشارة الى أن السور لما قبل إضافة المنصور كان يلف على امتداد الجانب الشرقي من المسجد. ومن أجل الربط بين البناء الجديد والقديم فقد التجأ المعمار الى بناء أقواس كبيرة وعديدة وفي الجزء القصوي من الجناح الجنوبي للجدار والتي ما زالت آثار قواعد دعامات الطرمات القديمة قائمة حتى اليوم والتي تم هدمها لتحقيق هذا التوسع. وبعض هذه البقايا ما زالت مثيرة للاعجاب لأنها احتفظت بكامل تفاصيلها الجمالية.

وتبقى معالم المسجد بالشكل الذي انتهينا من وصفه الموجز ما عدا أعمال الصيانة التي جرت عليه بين الحين والآخر حتى ضم قرطبة الجميلة الى مملكة كاستيليا وليون عام 1236 من قبل فرناند الثالث، حيث تحول المسجد الى كاتدرائية في نفس العام. ومنذ هذا التاريخ أيضا بدأ رجال السلطة الدينية الذين وضعوا اليد على مسجد قرطبة يجرون بالتتابع التحويرات تلو التحويرات على هذا الأثر النادر الخالد، من أجل تكييفه للمراسيم المسيحية وفي القرن الخامس عشر سمح الملوك الكاثوليك بناء معبد كنيسي كامل داخل المصلى مما أدى للأسف الى تدمير جزء من أروع أجزائه الأصلية وركبوا عليها العقود الغوطية المستندة على الأقواس الأصلية التي سدت لهذه الغاية بعناصر معمارية وزخرفية جديدة أيضا شملت امتداد ثلاثة أروقة طولية.

وفي القرن السادس عشر أدى ضغط كنائسي جديد الى تحطيم المانعة التي

كانت تعلنها رئاسة بلدية قرطبة وجزء كبير من سكان المدينة في اجراء أي تحوير جديد في البناء فيصدر قرار ملكي من قبل شارل الأول الذي يضع حدا قاسيا وبالقوة لانتفاضة شعب قرطبة عام 1523 وتؤدي العملية الى تدمير الجزء الذي بناء عبد الرحمن الثاني وجزءا كبيرا مما بناه المنصور وتشمل أيضا المعبد الكاثوليكي الواقع في القسم الوسطي من المصلى.

ولو حاولنا استعراض الطرز المعمارية والزخرفية التي طرأت على المبنى نجد أنها حوت خليطا عجيبا ألبس بشكل مستعجل على أركان البناء المختلفة استمر حتى عام 1766 ودام 243 سنة. تضمن من أنقى العناصر الفنية الغوطية حتى أعلى مراحل تطور فن الباروك.

(1) البوابة الشمالية للمسجد.

(2) أقواس حدوة الفرس ذات الطوابق الثلاث المقرنصة التي ابتكرها الفنان الأندلسي.

(3) أقواس حدوة الفرس ذات الطابقين ابتكرها الفنان الأندلسي لاسناد السقف. (كلها من بناء القرن العاشر الميلادي).

(3) (2) (1)

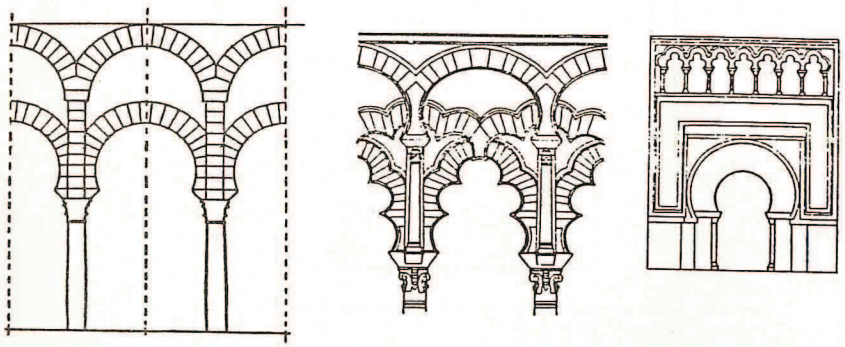

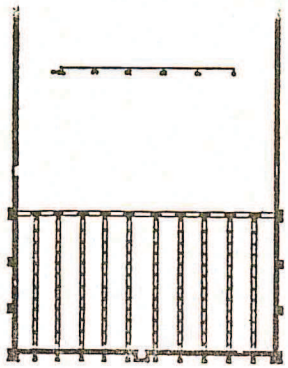

المرحلة الأولى من مسجد قرطبة الكبير (180 × 130 م). بناه الخليفة عبد الرحمن الأول عام 785 م.

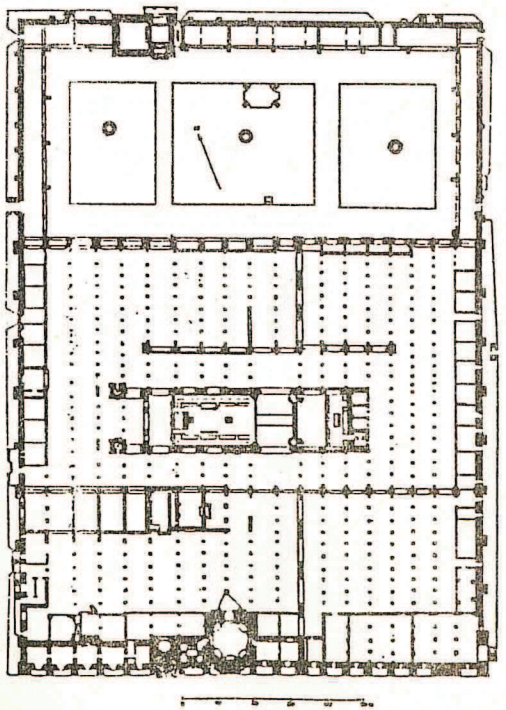

المخطط النهائي للمسجد في عام 1236. لاحظ في وشطه الشابيل. بناه سنت فرناند الذي حوّله الى كاتدرائية.

التاريخ الحديث

إرشاد الحيران في أمر الدّاي شعبان

مولاي بالحميسي

حكم الجزائر عدد كبير من الدايات ففيهم من طال عهده وفيهم من قصر وفيهم من وُفّق وفيهم من خاب حتى تداولت على البلاد أيام السعد وأيام النحس غير أن التاريخ سوّل للدّاي شعبان صفحات مليئة بجليل الأعمال وأبهر الانتصارات رغم قصر المدة وغدر الزمان[1].

ومما يستغرب أن المؤرخين[2] تجاهلوا هذه الشخصية الفذة أو اقتصروا على ذكر جانب منها حتى أن القارئ يبحث عبثا في مؤلفات هؤلاء فلا يجد إلا قشور لا تسمن أو تفاصيل لا تجدي أو أخبارا مبعثرة لا تعطي الصورة الحقيقية لهذا الحاكم الموقر والقائد المظفر بل أعجب بعضهم بما جاء في «الشهب المحرقة» لأحمد بن مصطفى برناز الذي ادّعى أن شعبان «رجل ظلوم يأخذ أموال الناس بالباطل... وله مثالب في جميع الدنيا... ويصادر الأموال ولا يشبع» ونفس المؤلف التونسي يقول إنه «رجل مليح ومهما قعد في دار السلطان للحكم لم يدع الصدق من يده وانه في أوقات فراغه يقرأ القرآن ويصوم الاثنين والخميس والثلاثة أشهر والأيام البيض» وانه «متقشف يلبس نعلا... ويفصل بين الناس والمصحف في يده...»

والحقيقة أن الداي شعبان أكبر من هذا كله، تتجلى عظمته من خلال مراحل